وزارةُ الثَّقافة
الهيئة العامّة السُّوريّة للكتاب
مديريّة منشورات الطّفل

مكتبة الطفولة

١٠٦
كانون الثاني ٢٠٢٤م

سِجنٌ مِنْ ورق!

تأليف: أنطوان سوفاج
ترجمة: عبلة العطّار
رسوم: علاء ديوب

سِجنٌ مِنْ ورق!

تأليف: أنطوان سوفاج
ترجمة: عبلة العطّار
رسوم: علاء ديوب

سلسلة قصصيّة موجّهة إلى الأطفال

مكتبة الطفولة

رئيسُ مجلس الإدارة
وزيرةُ الثقافة
الدكتورة لبانة مشوّح

الإشراف العامّ
المـدير العــامُّ للهيئـة
العامّة السّوريّة للكتاب
د. نايف الياسين

رئيس التحرير
مدير منشورات الطفل
قحطان بيرقدار

الإخراج الفنّي
هيثم الشيخ علي

الإشراف الطباعيّ
أنس الحسن

أنت الذي ستقرأُ هذه السُّطورَ أيّـاً كنت! أرجوك اهتـمَّ بما تقرأ، لأنها مسـألةُ حياة أو مـوت، ليسَ موتاً حقيقياً، بل هو موتٌ معنويّ.

أعلـمُ أنني أخاطرُ كثيراً بالكشف عن أسراري في دفتر يومياتـي هذا، لكنّني مُضطرٌّ إلى ذلـك، حتى لو لم يكُن من الـمُفتـرَض لأحد أن يقرأه، لكنّني سـأكونُ مُـرتاحاً للأمر، ففي حال اختفائي، سـأترُكُ أثـراً يُقتفى للوصول إلى الحقيقة.

إنْ كنتَ من سُـكّان إرناك لابوست فستعرفُ بالتأكيد قصّـةَ الأولاد الثلاثـة الذيـنَ اختَـفَـوا فـي مكتبـة مـدام بيشـبوت. تعودُ أحداثُ هذه القصّة، التي جعلتْ بلدتي معروفةً في فرنسا كلِّها، ثلاثينَ عاماً إلى الوراء، إذ اختفى ريمي وجول وليلى في ظروف غامضة.

لقـد طـارت الحوّامـاتُ، واسـتنفرَ رجـالُ الشـرطة والـمُفتّشـون فـي عمليّـة بحث اسـتغرقَتْ مُـدّةً طويلةَ

جداً، لكنْ عبثاً، لم يصل الـمُفتّشُ أوجين تراش، الذي فتحَ محضرَ بحث ثلاثَ مرّات، إلى أيِّ نتيجة.

كأنّ الأطفـالَ تبخّــرُوا، أو طارُوا مـن دون أن يترُكوا أدنـى أثـر. أقصـى مـا عرفَــهُ الجميـعُ حـولَ موضوع اختفائهم أنّــهم ذهبوا جميعاً إلى المكتبة قُبيلَ ذلك اليوم المشـؤوم ليشتروا بعضَ الكتب، لأنّ مَـنْ يَسكنُ إرناك لابوسـت يعلــمُ علـمَ اليقيـن أنْ لا مشـوارَ ترفيهيّاً في العُطَـل الصيفيّة إلّا الذهاب إلى المكتبة لقضاء الوقت، فالأهالي جميعاً يذهبون إلى البحر والجبل، لكنْ من لا سـبيلَ لـهُ إلى ذلك، فليسَ لـهُ ملاذٌ إلّا المكتبة كي يُبدِّدَ الـملل، وهذا ما فعلَـهُ جول وليلى وريمي على ما أظنّ.

أمضـى الـمُحقّـقون بعدَ اختفـاء الأولاد أياماً طويلةً يُفتّشـونَ عـن أيِّ أثـر يَـدُلُّـهـم على شـيء يُفسّــرُ هذا الاختفـاءَ الـمُبـهَــم. لقـد قلَـبُوا مكتبةَ مدام بيشـبوت رأسـاً علـى عَـقِب، ولـم يترُكُـوا زاويةً مـن زواياها إلّا

وبحثوا فيهـا عن دليل، كما أمطَـرُوا السـيّدةَ بيشـبوت بوابل من الأسئلة، حتّـى اشتعلَ رأسُها شيباً قبلَ الأوان.

بدأ أهالي البلدة ينظرونَ إليها نظراتِ شـكٍّ وارتياب، وتجنَّـبُـوا الحديثَ معهـا تماماً، حتّـى إنّ بعضَهم تركَ البلـدةَ، ولا سـيّـما أهالـي الأطفـال الثلاثة. لقـد كانوا أوّلَ من رحلَ عن إرناك لابوسـت مُتشـائمينَ منها ومن صاحبة المكتبة.

ظلَّ لُغزُ اختفاء الأولاد مُـبهَـماً بلا تفسير مُـدّةَ ثلاثين عاماً، ومرّ وقتٌ طويل، وأصبحت السيّدةُ بيشبوت اليومَ مُسِـنّةً، وبدت أكبرَ سـنّاً من عمرها الحقيقـيّ، ولا تزالُ مُـحتفظـةً بشَـعْرها الأبيض الذي داهَـمَ رأسَـها مُـبكّراً من شدّة هولِ ما حدثَ في مكتبتها.

كانـتْ تتجـوّلُ وحدَهـا في كثيـر من الأحيـان، وفي مكتبتهـا تحديداً، ولا تخرُجُ إلّا ليلاً لتضيعَ في شـوارع القرية، حتّـى قيلَ إنّـها وُجِدَتْ نائمـةً بثياب النوم على

قارعة الرصيف في السـاحة، واضعةً إبهامَـها في فمها، ولعبة صغيرة تحتَ كوعها.

أمّا أنا فقد كنتُ من الأطفال القلائل الذين يتردّدُونَ على المكتبة تحتَ شـروط قاسـية من أهلـي: ألّا أُغلقَ هاتفي المحمـولَ، وألّا أتأخّـرَ عن الوقـت الـمُحدَّد لي، لأنهم كانـوا قلقيـنَ بسـبب القصّة القديمـة التي طالمـا تجنّبوا الحديثَ معي عنها، ولكنْ تحتَ إصراري كانوا يُـجيبونَ إجابـاتٍ مُـقتضَبةً، ويَـجعلُونَـني أقطـعُ لهم الوعودَ بألّا أُكـلّـمَ مخلوقاً عن هذه القصة لأنها تجلبُ الشُّؤم.

هذا ما التزمتُ بـه بعدَ ظهيرة يوم أمس. لـمّـا دخلتُ مكتبةَ السيّدة بيشبوت وجدتُـها نائمةً في هيئة الجلوس وراءَ صندوق النقود الذي تُـحاسِـبُ منه. مشـيتُ على رؤوس أصابـع قدمَـيّ كي لا أوقظَـها. فجأةً، سـمعتُ صرخةً أفزَعَـتْني لـمّـا كنـتُ أصعدُ الأدراجَ، جَعلَـتْني أعـودُ لأرى ما كانتْ تفعـلُ، فوجدتُـها لا تـزالُ نائمةً،

لكنّها تُتمْتِمُ بكلمات غير مفهومة، وجسمُها يتحرّكُ في الاتجاهات كلِّها مثل دُمى العرائس.

كانت تُتمْتِمُ بكلمات غير مفهومة، لكنْ شيئاً فشيئاً، سمحَتْ لبعض الأصوات المألوفة بالخرُوج من فمها، ومن ثمّ لكلمات، فسمعتُ حينَها أسماءَ الأولاد الثلاثة معَ ضحكة تُقطِّعُ الأوصالَ من هول المُفاجأة. بدأتُ أتحدّثُ معها بحذر، وأسْتَجْوِبُها مُحاولاً ترتيبَ هذه الثرثرة والفوضى الكلاميّة التي تنطقُ بها. لقد كشفَتْ لي كلَّ شيء.

إذا قرأتَ دفترَ يوميّاتي هذا، فذلك مفادُهُ أنني أصبحتُ الطفلَ الرابعَ الذي اختفى، لذلك أتوسّلُ إليك أن تُحاولَ اتّباعَ تعليماتي حرفيّاً للوصول إلى الحقيقة.

أولاً، اتّصلْ بشرطة إرناك لابوست للتَّحقُّق من اختفائي، وتعالوا إلى المكتبة، وللتعرُّف إلى السيّدة بيشبوت سيكونُ الأمرُ سهلاً جدّاً. إنها امرأةٌ ذاتُ شعرٍ

أبيضَ تماماً. اطلبوا إليها أن تَـدُلَّـكم على قسم أدب الأطفـال الـمُخصَّص للـمُطالعة، وأصِرُّوا عليها أن تُرشِـدَكم إليه، خشيةَ أن تضيعُوا في هذه المتاهة إنْ لم تُرافِـقْـكم.

بعـدَ وُصولك إلـى هنـاك، انظُـرْ إلى قسـم كتُب الأطفـال الذينَ تُراوِحُ أعمارُهم بينَ الحاديةَ عشـرةَ والرابعةَ عشـرة. مِـنْ بين جميـع الـمُجلَّدات التي تُغطّـي رفوفَ الجدار، ثـمّـةَ واحدٌ يجبُ أن يلفتَ انتباهَـك. إنّـهُ فريـدٌ فـي نوعـه. عليـكَ، لأجـل اكتشـافِه، أن تمشـيَ خطوتَين إلى الوراء، وتتنحّـى جانبـاً مِـنْ دون أن تُبعِـدَ عينيـكَ عنـهُ إطلاقـاً. إنّ الكتابَ الذي أحدّثُـكَ عنهُ يتغيّـرُ لونُـهُ اعتماداً على المكان والزاوية التي تُشاهِـدُهُ منها. حينَ تلتقطُـهُ لا تتفاجأ إنْ لم تجدْ أيَّ شيء على غلافه، فهو من دون عنوان، إنّـما احذَرْ منه، ولا تفتَـحْـهُ تحتَ أيِّ ظرف

مـن الظروف قبلَ أن تتّبعَ التعليمات التي كشـفَـتْـها لي السيّدةُ بيشبوت في أثناء نومها.

إنّ لهـذا الكتاب قُـوّةً شـرّيرة، وبحسـب ما أخبرَتْني السيّدةُ بيشبوت فإنّ الأولادَ الثلاثة سُجناءُ بسببه، وعلى كلِّ مـن يفتـحُـهُ تَوخِّـي الحذر الشـديد وقراءتُـهُ حتّى الصفحـة الأخيرة، فلا يجـوزُ تركُـهُ قبلَ إنهـاء قراءته، وإلّا فسـتبتلعُـهُ الحكايةُ التي فـي الكتاب، وإنّ الطريقةَ الوحيـدة لكَسْـر هـذه التعويـذة أنْ يقرأ الشـخصُ هذا الكتـابَ من دون زلّة لسـان واحدة علـى الإطلاق، ولا حتّـى مرّة واحدة، وإلّا فسـيقعُ في الفــخّ، والويلُ لمن سيكتشـفُ هذا الكتابَ وسرَّهُ، فقد يلقى المصيرَ نفسَـهُ أيضاً إنْ لم يحتـطْ.

وأنـا أكتبُ هـذا السِّــرَّ فـي مُذكّراتي، آمـلُ ألّا أفهمَ ذلك. علـيَّ الآن أن أغتنـمَ الفُرصَة. يجبُ أن أعودَ إلى المكتبة، وأقرأ هذا الكتابَ لإنقاذ سُجنائِـهِ الثلاثة.

أعلــمُ أنّ خطّتـي محفوفـةٌ بالمخاطـر، لكـنْ ليسَ لـديَّ خيارٌ، كمـا أنّ والدَيَّ غادرا لقضـاء عطلة نهاية الأسـبوع عنـد عـمّـتـي المريضـة، وهـذه فُرصَتـي الوحيدةُ لأتمكّـنَ من البقاء ساعاتٍ طوالاً في المكتبة مـن دون قلقِ أبـي وأمي، لذلك سـأذهبُ مُـبكّراً جدّاً إلى المكتبة، وأجدُ مكاناً للاختباء في إحدى زواياها، وأُحضِرُ الكتابَ، وأبدأ بقراءة مئتي صفحة بكلِّ حذر وحيطـة دونَ الوقوع فـي أيِّ ثغرة لغويّة، ولا حتى زلّة لسان واحدة.

إذا حـدثَ وأخفقـتُ بزلّـة لسـان، أو غفـوتُ على الكتـاب فـي أثنـاء قراءتـه، أو داهَـمَـتْنـي السـيّدةُ بيشـبوت، فإنّنـي أرجوكَ أن تُـجرّبَ أنـت حظَّكَ بأنْ تُعطـيَ شخصاً تثقُ به ثقةً قويّةً دفترَ يوميّاتي هذا.

شُـكراً.

جوي.

من إصدارات الهيئة العامّة السوريّة للكتاب

كانون الأول ٢٠٢٣

www.syrbook.gov.sy
E-mail:syrbook.dg@gmail.com
هاتف: ٣٣٢٩٨١٥ - ٣٣٢٩٨١٦
مطابع الهيئة العامّة السّوريّة للكتاب - ٢٠٢٤م
سعر النسخة: ٥٠٠ ل.س أو ما يعادلها